حديقة الغروب

خمْسٌ وستُّونَ.. في أجفان إعصارِ
ما سئمتَ ارتحالاً أيّها الساري؟

ما مللت من الأسفارِ.. ما هدأت
لا وألقتك في وعثاءِ أسفارِ؟

أمــا تعبت مــن الأعــداء.. مـــا برحــوا
يحـــاورونك بالكبريـــت.. والنـــار؟

والصحبُ؟ أين رفاقُ العمـرِ؟ هل بقيتْ
ســوى ثُمــالةِ أيــام.. وتذكار؟

بلى! اكتـفيتُ!... وأضناني السُّرى! وشكا
قلبي العناء!... ولكن تلك أقـداري

*

أيا رفيــقـةَ دربي!.. لو لديَّ ســوى
عــمري.. لقلتُ: فدى عينيكِ أعماري

أحببتني.. وشبابي في فتوّتهِ
ومــا تغيّرتِ.. والأوجاعُ سُمّاري

منحتني من كنوز الحُبّ.. أنفَسها
وكنتُ لولا نداكِ الجائعَ العاري

ماذا أقولُ؟ وددت البحر قافيتي
والغيم محبرتي... والأُفقَ أشعاري

إن ساءلوكِ فقولي: "كان يعشقني
بكلّ ما فيهِ من عُنفٍ.. وإصرارِ

وكان يأوي إلى قلبي.. ويسكنه
وكان يحمل في أضلاعهِ داري"

وإن مضيتُ.. فقولي: "لم يكن بَطَلا
لكنه لم يقبّلْ جبهة العارِ"

*

وأنتِ!.. يا بنت فـجـرٍ في تنفّسه
مـا في الأنوثة... من سـحـرٍ وأسـرارِ

مـاذا تريدين مني؟! إنني شَـبَـحٌ
يـهـيمُ مـا بين أغـلالٍ.. وأسـوارِ

هذي حـديقـة عـمـري في الغروب.. كـمـا
رأيتِ... مـرعى خـريفٍ جـائعٍ ضارِ

الطيـرُ هاجَـر.. والأغـصـانُ شـاحـبـةٌ
والـوردُ أطرقَ يـبـكـي عـهـد آذارِ

لا تتبـعـيني! دعـيني!.. و اقرأي كـتـبي
فـبين أوراقِـهـا تلقـاك أخـبـاري

وإن مـضـيـتُ.. فـقـولي: " لم يكن بطلاً
وكـان يمـزجُ أطـواراً بـأطـوارِ "

*

ويا بلاداً نذرت العـمـر.. زَهرتَـه
لعـزهـا!.. دُمتِ!.. إني حـان إبحـاري

تركتُ بين رمـال البـيـد أغنيـتـي
وعند شـاطئكِ المسحـورِ.. أسمـاري

إن سـاءلوك فـقـولي: لـم أبعْ قلمـي
ولم أُدنّـس بسـوقِ الزيف أفكـاري

وإن مـضـيـتُ.. فـقـولي: "لم يكن بَطَلا
وكـان طفلي.. ومـحـبـوبي... وقـيـثـاري"

*

يا عـــالِمِ الغــيب! ذنبي أنتَ تعــرفُــه
وأنت تـعلـمُ إعــــلانـي.. وإســـــراري

وأنتَ أدرى بـإيمــــانٍ مـنـنـتَ بـــــه
عليّ.. مــــا خــدشــتــه كــل أوزاري

أحـبـبتُ لقـيـاكَ.. حسن الظن يشـفع لي
أيرتجَـى العــفــو إلاّ عنـد غــفــارِ؟

٢٠٠٥م

بدر الرياض

ولاح لي بدرُ الرياض شاحباً

عيونه مناجمُ الدُّموعْ

ووجهه خارطة الْكَدَرْ

قلتُ له، كعادتي:

"أهــــلاً وســــــهــــــــلاً...

بـالـنديـــم في الـسَّـــــمَـــــرْ"

قلتُ له، كـعـادتـــي:

"يا مـــرحـــبـــاً .. بزيـنـة الآفـاقْ

يـا مـــرحـــبــاً .. بزورقِ الأشـــواقْ"

لكـنه أشـــاح عـنـي واجــــمـــــاً

وضـــــــنَّ بــالــســــــلامْ

وضـــــــنَّ بــالــكـــــــلامْ

قـــلـــتُ لـــه:

"مـــــاذا دهاك يا قــــمـــــرْ؟!

نسيتني؟!

أنا صديقك القديم .. يا قمرُ!

أجابني بدر الرياض غاضباً:

"أما ترى الجراحَ .. والصغار الميتينَ..

والدُخانَ .. والشَرَرْ؟

قل لي، وأنت واحدٌ من البَشَرْ،

أهكذا فِعلُ البَشَرْ؟"

"عفوك! يا بدر الرياضْ

من قال إنّهمْ بشرْ؟

عقولهم من الحجرْ

قلوبهم من الحَجَرْ

يقُودهم إلى سَقَرْ

منافقٌ .. مشعوذٌ

دمَرهمْ .. ولم يمتْ

وانتحروا .. وما انتحرْ"

* * *

تنهد البدر.. وغابَ

في سحابة الأحزانْ

وعدتُ وحدي .. للسَّهَرْ

٢٠٠٣م

دمع الخيل

- للصديق أحمد بن سلمان بن عبد العزيز رحمه الله -

يا من طوى الأيام.. برقاً خاطفاً

كالمهر.. يلهثُ في خطاهُ شهابُ

يتساءل الأصحابُ: أين مُتَيَّمٌ

بالفوزِ؟.. أين حصانُه الوثّابُ؟

تبكي الجـيـاد.. إذا ترجّل فـارسٌ

ومن الصـهـيلِ.. توجّعٌ وعـذابُ

أرأيتَ دَمعَ الخيل؟! كم من عبـرةٍ

في الروحِ.. لم تعلمْ بهـا الأهدابُ

٢٠٠٢م

محسون!

- في وداع الصديق النبيل الدكتور محسون جلال رحمه الله -

على قمّةٍ ترنو إلى البحرِ.. تَرقُدُ

كأنكَ صقرٌ حيث حلّقَ يُلحدُ

تخيّرتَ للنوم الأخيرِ وسادةً

من الغيمِ.. تَستَدني النجومَ.. فتصعَدُ

سـمـوتَ.. وأنسـامُ الحـيـاةِ رطيـبـةٌ

وتسـمـو.. وإعـصـارُ المنـون يعـربدُ

عليك سلامُ الله.. مَا سَقـط النـدى

على جَبهة الصحراء.. والفجرُ يُولَدُ

عليك سلامُ الله.. مـا طابـت الوغى

لفرسـانهـا.. والنصر يدنو.. ويَبعُـدُ

عليك سلامُ الله.. مـا قَسَـتِ النوى

على كـبـدٍ مـصـدوعـةٍ.. تتنهَّـدُ

عليك سلامُ الله.. مـا طافـت الرؤى

على " سيدي بوسعيدَ ".. التي تتوسَّدُ

* * *

أتونس هذي؟! أين مـا كنتُ أشـهـدُ؟

أتونس هذي؟! أين مـا كنتُ أعـهـدُ؟

أتيتُ.. فلم تُشـرقْ لرؤياي بسْـمـةٌ

وجـئتُ.. فلم يفـرحْ بلقـيـايَ أغـيـدُ

خليج "قـمـرْتٍ".. بالوجـومِ مُـسـربلٌ

ولون الضُّحى في شمس "قرطاجَ" أسودُ

ولم يبقَ في "المَرسَى" من الصحب سامرٌ

ولا ردَّد اللّحن الموشَّح .. منشـــــدُ

مـعـاذ الوفـا!.. مـازلت تونس فـتـنةً

ولكن طرفي بالفـجـيـعـةِ.. أرمَـدُ

* * *

أسائلُ هذا القبر: " كيف ضَممتـه؟

أما كان كـالبركان.. يعلو.. ويخمدُ؟

أما كان في حجم الحياةِ.. بصحـوها

وأمطارها.. هل تُحتوى.. أو تُحدَدُ؟

وكـان عنيفـاً كـالمحيـطِ إذا طغـى

وكـان رقيـقـاً مـثل طفـلٍ يُهَدهَـدُ"

وأعـرف أن الطيـن يـرجع للثـرى

ويبلى.. وعمـر الروح في الغيبِ سَرمَدُ

* * *

أأبكيك؟.. يدعوني إلى الدمع مشهدٌ

كئيبٌ.. وينهاني عن الدمع مَشهدُ

عهدتُكَ تأبى الدمع كِبْراً.. وترتضي

بدمعٍ حبيسٍ في الضلـوع يُصفّدُ

تعـدُّ بكاءَ العيْن عـجــزاً.. وذلّـةً

وتبكي بقلبٍ واهــنٍ يتـفـصّــدُ

أأبكيك؟! لا أبكيك! أكـتم في دمـي

بكائي.. ويبــدو أنني المتـجلّــدُ

* * *

أمحـسـونُ! هل أروي حكاية ثـائـرٍ

قـضى عُـمـرَه، أو جُلّه، يتـمــرّدُ؟

أبى أن يجاري الناس.. واختار خطّه

كـمـا شاءهـا.. إذ شاءهـا.. لا يُقلّـدُ

وطبعُ الورى طبعُ القطيعِ.. يسرُّهُ

خضوعٌ.. ويؤذيه الجسورُ المجدِّدُ

وهل يستريح الناسُ إلاَّ اذا قضوا

على كل فذٍّ.. حيثما يتفرَّدُ؟

وتعجبُ أن عاداك قومٌ.. وخاصموا

وأعجبُ إن حاباك قومٌ.. وأيَّدوا

* * *

أمحسونُ! هل أروي حكاية ناقمٍ

عنيد .. تحدَّى الفقر.. والفقر أعندُ؟

وقاتل من أجل الجياع بعالمٍ

حضارته تذرو الجياعَ.. وتحصدُ

وسافر في طول البحار.. وعرضها

يواسي.. ويعطي لقمةً.. ويضمِّدُ

إلى أن وهى عظمٌ.. وشابتْ عزائمٌ

وما زال غول الفقر في الأرض يُفسِدُ

ومـا زالت الدنيا أسيرةَ شهوةٍ

تهيم بعجل السامريِّ.. فتسجدُ

يعود بحرمانٍ.. نصيرُ مبادئٍ

ويرجع بالأسلابِ من يتصيَّدُ

* * *

أمحسونُ! هل أروي حكاية صاحبٍ

وفيٍّ.. وحزب الأوفياء مُهدَّدُ؟

تعــوّدتَ في وجــه الريــاءِ صــراحــةً

وكم قــائلٍ: "يا بئــسَ مــا يتــعـوَّدُ! "

تحــاربُ إن حــاربت ضِـمنَ رُجـولـةٍ

فــلا أنتَ غــدّار .. ولا أنتَ تحــقــدُ

وتصــدقُ.. والدنيــا عــدوٌّ صـدقـهــا

تكابدُ.. والكذاب بالكذبِ يَســعَــدُ

تُحمّل هذا القلب.. مــا لا يطيقــهُ

ومن لك بالقلبِ الذي ليس يُجهَدُ؟

* * *

أمــرُّ على "دار المسـرّة".. كــاسـفــاً

وكم كنت آتيــهــا.. ونفــسـي تغـرّدُ

هنا.. كان لي عمرٌ جميلٌ.. ورفقةٌ

كرامٌ.. وأشعارٌ حِسانٌ تُردَدُ

هنا.. كان لي حِصنٌ حصينٌ.. وفارسٌ

نبيلٌ إذا ما ضقتُ بالعيشِ يُنجِدُ

هنا كانت الدنيا.. وكُنّا ملوكها

وكان لنا عرشٌ.. وسعدٌ.. وسُؤددُ

نعمتُ بحلمٍ رُمتُه ليس ينقضي

سلامٌ على الحلمِ الذي يتبدَّدُ!

سلامٌ على عمرِ الشبابِ الذي انقضى

وأوّاهُ!.. لو كان الشبابُ يخلَّدُ

* * *

برغمي.. ورغم الحب.. أخلفتُ موعداً

ومـا بيننـا إذ يأذن اللـه مـوعـدُ

٢٠٠٢م

حياة!

- لشقيقتي حياة رحمها الله -

أختاه!

وجهُكِ باردٌ

وأنا أقبّله.. وتلسعني الدموعُ..

ويرجع الطفلُ المبعثر في السنين..

يعانق الكهل اليتيمْ

نمشي، أنا والطفل، أبحث عن

صباي.. وعن صباك.. فلا

أرى غيــر الهشيــمْ.

كم كنتِ ضاحكةً.. وباكيةً..

وثائرةً.. وهادئةً..

وحانيةً.. وقاسيةً..

كأنك كنت تقتبسين

أمزجة الحيــاةْ

(أم كنت أنتِ هي الحياةْ؟!)

واليومَ وجهك بـاردٌ

وأنا أغضُّ الطرف عنه..

ألــوذُ بالوجه الذي

خبأتُـه في الذكرياتْ

أيام كُنّا فرحة السمّارِ..

كُنّا ثـورة الأحرارِ..

كُنّا ليلةَ الأقمـارِ..

كُنّا بهجة الزّمنِ الوسيمْ

واليوم.. وجهُك باردٌ

وأنا أدبُّ على عصا التذكارِ..

مسلوب الشبابِ..

فمن يردّ الروح في الكهلِ السقيمْ؟

أختاه!

وجهُكِ باردٌ

وأنا أحسَ برودة الأشياء..

في قلبي..

أحسَ برودة النصل المُغلغلِ

في الصميمْ

يتفرّق الأحبابُ..

ترحل نشوةُ الأطيابِ

يخبو سامر الأصحابِ..

أحتضن الوجوم.. وأغمس

الأقلام في الدمع المجمَّدِ..

أكتبُ الشعــر العقيمْ

أختاهُ!

وجهُك باردٌ

أُلقي على الوجه الغطاء،

أقول:

"نامي! يا شقيقة كل أوهامي..

وأيامي.. وأفراحي.. وأتراحي

تعبتِ من الخواءِ..

وزورة الأشباح في الليل البهيمْ

نامي! أعزَّ العمر.. أجملَ

أمسياتِ العمر.. أنبلَ أمنيات

العُمرِ..

نامي في حمى الله الرحيمْ"

٢٠٠٥م

لبنان

وفي كل يومٍ.. تموتُ.. و تحيا

تموتُ.. و تحيا..

كأنكَ وحدك، خلّ الحياةْ

وعشق المماتْ

وفي كل يوم نجيئك..

نحتضن الطفل في مهده..

ثم نتلو عليه طقوس الوفاةْ

ندسُّك في اللحد..

ثم نعيدك حيّاً..

ونعجب من كثرة المعجزاتْ

و أنت، كقديسةٍ في الأساطيرِ

تغفر للقاتليـن..

وتلثم أيدي الجُناةْ

وتحملُ أرزك، هذا المُخضّب،

بين يديك

تضمّده من سهام الأعادي

ومن طَعنات الرفاق الأُبـاةْ

* * *

سلامٌ عليك!

وأنتَ وحيدٌ

تعالج بالكبْرِ عربدة القاذفاتْ

وترسل قلبك ينبض في

أضلع الثاكلاتْ

سـلامٌ عليكَ!

على عرس قانا الذي رقصت فيه

أم الحضارة.. فوق دماء الطفولة

في نشوة الفاجراتْ

ونحن - لك اللهُ! - نشهدُ أنك

رمز البطولة والتضحيــاتُ

ونقسم إنا الذين انتصرنــا

ونهرب بالنصر.. نقتسمُ النصر..

نستقبل النصر بالزغرداتْ

وتحضنُ نصركَ: ألفَ قتيلٍ

و عشرين ألف جريــح ..

و عاصمة دكّهَا الموت.. جللّها الصمتُ..

ما كدرته سوى النادباتْ

ونحن - لك اللهُ! - نقسم إنا

هزمنا بك الغاصبيــن..

وخضنا بك الهـولَ..

إنا صفعنا بك الغطرساتْ

سلامٌ عليك

تقاتل للعرب والفُرس..

- لله درك! -

عنتر هذا الزمان..

زمان الزعاماتْ..

والمضحكـات..

غَدتْ مُبكياتْ!

٢٠٠٦م

عادل

- لشقيقي عادل رحمه الله -

أخيَ! رُبَّ جُـرحٍ في الأضـالع لا يهْدا

أعـانقـهُ.. والليلُ يمطرني سُـهـدا

وأستصرخ الذكرى فتسكبُ صابهـا

ويا طالما استسقيت من نبعها الشهدا

أخي! لست أدري أيُّ سهميَّ قاتلي

غيابك.. أم أني بقيت هنا فردا؟

تفرّق أصحاب الطريق.. فلا أرى

أمامي سوى اللحد الذي يحضن اللحدا

على كل قبرٍ من دموعيَ قطرةٌ

وقافيةٌ.. تفدي المُودَّعَ.. لو يُفدى!

أصون عن الأنظار دمعي.. ورُبّما

تَمَاسَك من هُدّت قواعده هدّا

* * *

أعادل! هل حقّاً تَركتُك في الثرى

وأهديتُ هذا القبر أنفس ما يُهدى؟

وهل عدتُ حقاً للديار التي خَلتْ

وفياً لدنيايَ التي تخفر العهدا؟

مضَيت كأنّا ما قضيْنا حياتنا

معاً.. ولبسنا العمر بُرداً طوى بُردا

كأن الشبابَ الحلو ما كان بيننا

يهبُّ كأنفاس الخمائل.. أو أندى

كأنّ المنُى ما سلمتنا قيادها

فهمنا على الآفاق نغرسها وردا

كأن الرؤى ما غازلتنا حسانها

وما زيّنتْ صعْبا.. ولا قرّبتْ بعدا

كأن الصبا ما كان يغوى بنا الصبا

فــلا فــتــنةٌ نادتْ. ولا شـــادنٌ نـدا

كـأنّا خُلقنا في المشيب يسومنـا

من العـقل مـا كنّا نضـيق به مُـرْدا

* * *

إلى الله أشكو.. لا إلى الناس.. أنني

أكابد من عيشي العقارب والرُّبْـدا

وأني إذا مـا غـاب خـلٌ حسبتني

فقدت حسامي.. والعزيمة.. والزندا

و يا ربٍّ! هذا راحلٌ كـان صاحبي

وكان أخي يُصفي.. وأُصفي له.. الودّا

وكان صديقي والشباب صديقنا

وصادقني.. والشيب يحصدنا حصدا

وما فرَّ.. والأعداءُ حولي كتائبٌ

وما ضاق.. والظلماءُ صاخبةٌ رعدا

* * *

يقول سهيل: "ما لعينك لم تفضْ؟!"

فقلت له: أكدتْ.. وقلبيَ ما أكدى

بكيت أخي.. حتى ثوى الدمع في الحشا

وأجهش صدرٌ أصطلي نوحه وجدا

فمن أجله الدمع الذي سدَّ محجرى

ومن أجله الدمع الذي استوطن الكبدا

٢٠٠٦م

شاعر البحرين

- في تكريم الصديق الشاعر الشيخ
أحمد بن محمد آل خليفة، رحمه الله -

لم يَبقَ في العمر شيءٌ.. غيرُ ماضيهِ
رُدّي إلىَّ الصبا الريّان.. رُدّيهِ!

بحرينُ! كان الشباب الحلوُ ثالثنا
واليوم ثالثُنا شيبٌ أواريه

وكان شعريَ بحراً.. في تدفُّقهِ

فصار شعريَ صخراً.. في تأبّيهِ

أين الجميلات؟! كان القلب مزدحماً

بهن.. يرقصن رقصاً في نواحيهِ

واليوم.. أحنو على قلبي.. وأحسبه

وكر العناكب.. تبني بيتها فيهِ

وأين رَنَّة عودٍ داعبتْ قمرا

فخرَّ في الكأس.. يسقينا.. ونسقيه؟

وأين غاب رفاقي.. بين مرتحلٍ

بلا لقاءٍ.. وحيٌ لا ألاقيهِ؟

تغــيَّـر الناسُ.. إلاَّ شــاعــراً غــرداً

شـاب الربيعُ.. ومـا شـابتْ قـوافـيـه

* * *

بحـرينُ! شـاعـرك المعطاء.. أعـرفُـه

يجـري الوفـاءُ زُلالاً في قـوافـيـــه

مـا خـان عَـهدك.. والأحلام تسعدُه

وصــان ودّك.. والآلام تشــقــيــه

غنّاك في العُرْس.. حتى اختلتْ مائسةً

بين الضــفــاف بثـوبٍ مـــن دراريه

وناح شـعـراً.. وقـد أطرقتِ واجـمـةً

كـــأنّ كل الذي يـبكيك.. يـبكيــه

على المحــرَقِ.. من أبيــاته عَـبَـقٌ

وفي المنامــة.. ســحــرٌ من أمــاسـيـه

في كل شــبــــرٍ لـه روضٌ وداليـــةٌ

تبــارك الله! مــا أغنى ســواقـيـه

* * *

يا صاحبي في القوافي! جئتُ محتضناً

عـمـراً قـضـيـنـا مـعـاً أبهى لياليـه

أقول: " يا شاعر البحرين! معذرةً!

إذا عـــثـــرتُ بحــقٍ لا أوفّـيـــــه

إذا تعــثَّر شـعــري في مـحــابـــره

كـمـا تعـثـر دمـعـي في مـآقيــه"

أقول: " بحرينُ!.. كم غنّاكِ فابتسمي

لــه.. وضمّــيــه تحنانــاً.. وغنّيــهِ

وهدهديهِ.. بلحنٍ من مــزامــرهِ

وطوّقــيــهِ.. بعــقــدٍ من لآليــه"

٢٠٠٤م

عن امرأةٍ ناريّة

من الإعصار جئتِ... أم النسيم؟

وناري أنتِ؟... أم بردُ النعيم؟

مزاجك لا يقرُّ له قرارٌ

كبرقٍ.. لا يقرُّ على الغيومِ

يجـرّعني السـعـادةَ.. حين يهـوى

وحين يشـاء.. يسـقـيني هُمـومي

ويمنحني السـلامَ.. وحين يطغى

يقلّبنـــي على جــرحٍ أليــم

* * *

أجـيـبـي! أيُّ دربٍ قــاد خطوي

بلا وعــدٍ.. إلى الوجـه الوسـيم؟

وفـيم اخـتـرتني.. والأرض مـلأى

بإعـجـابِ المسـافـرِ.. والمقيـم

وكـيـف - وتمرحُ الحلوات قـربي -

رأيتك دُرّةَ العـقــد النظيــم؟

هو القــدر.. الذي لا رأي فـيــه

فــلا ندري البــريء من المَلُــوم

* * *

إذن، يا فـتنتي، انهـمـري شـواظـاً

على حطبي.. وجـمـراً في هشـيـمي

وردّي لي المـــودّع من شــبــابـــي

وصُبّي لي الشـمــالــة مــن كـرومي

خـذي هذي الدقـائق.. فَهْيَ تجري

تصـيـر إلى غُـبـار في النجـــوم

وحين أغيب عنك.. أعــود وحـدي

إلى دنيـايَ.. كـالطفلِ اليـتـيـمِ

وتفتقدينني.. ويضجّ حضن

طواني أمسِ في العشق الرؤومِ

* * *

سنندم إذْ تفرقنا الليالي

وهل تأتي الندامةُ.. بالنديم؟

٢٠٠٣م

لك الحمدُ!

لك الحمدُ! والأحلامُ ضاحكة الثغرِ

لك الحمدُ! والأيامُ داميـةُ الظفرِ

لك الحمدُ! والأفراحُ ترقص في دمي

لك الحمدُ! والأتراحُ تعصف في صدري

لك الحمد! لا أوفيك حمداً.. وإن طغى

زماني.. وإن لجّتْ لياليه في الغدرِ

* * *

قصدتُك يا ربّاهُ والأفق أغبرُ

وفوقيَ من بلوايَ قاصمة الظهرِ

قصدتك يا رباهُ والعمرُ روضةٌ

مُروَّعةُ الأطيار.. واجمةُ الزهرِ

أكتّمُ في الأضلاع ما لو نشرته

تعجبت الأوجاع مني.. ومن صبري

ويشمت بي حتى على الموت طغمةٌ

غدتْ في زمان المكر.. أسطورة المكرِ

ويرتجـز الأعــداءُ.. هذا برمــحــهِ

وهذا بسـيـفٍ حـده ناقع الحِبــرِ

لحا الله قوماً صوّروا شرعه الهدى

أذاناً ببـغضـاءٍ.. وحجّـاً الى الشرّ

يعـــادون ربَّ العـــالمين.. بفـــعلهم

وأقــوالهم ترمي المصلّين بالكفــر!

يهـــدّدني دجّــالهم من جـــحـوره

ولم يدرِ أن الفـــأر يزأر كـــالفـــأر

جـبـانٌ يسـوق الأغـبـيـاء إلى الـردى

ويجري إلى أقصى الكهوف من الذعرِ

وما خفتُ.. والآسادُ تزأرُ في الشرى

فكيف بخوفي من رويبضة الجحر؟!

ولم أخشَ يا ربّاه موتاً يحيط بي

ولكنني أخشى حسابك في الحشر

وما حدثتني بالفرار عزيمتي

وكم حدثتني بالفرار من الوزر

* * *

إليك عظيم العفو أشكو مواجعي

بدمعٍ على مرأى الخلائق لا يجري

ترحَّل إخواني فأصبحتُ بَعدهمْ

غريباً.. يتيم الروح.. والقلب.. والفكر

لك الحمدُ! والأحبابُ في كلّ سامرٍ

لك الحمدُ! والأحبابُ في وحشة القبرِ

وأشكر إذ تعطي بما أنت أهلـــه

وتأخذ ما تعطي.. فأرتاحُ للشكرِ!

٢٠٠٦م

يا أعز الرجال!؟[1]

– في وداع الصديق يوسف الشيراوي، -رحمه الله- رجل لا يتكرر –

يا أعزَّ الرجالِ!... ماذا تقولُ

أطويلٌ هذا الأسى.. أم يطولُ؟!

وليالي الفِراقِ.. كيف تراها

وشعاع الصباح فيها قتيلُ؟

(١) سيلحظ عشاق المتنبي في القصيدة أصداء كثيرة لقصيدة المتنبي التي تبدأ:
"مالنا كلنا جوٍ يا رسول".. وكنا - يوسف وأنا - نعشقها

والمغاني الطلولُ.. هل تستردُّ الفرحَ

الغـابرَ.. المغـانـي الطلـولُ؟

والزمـانُ الذي دفنّاهُ ظُهـراً

أترى يرجع الزمـانُ الجـميلُ؟

يا أعـزَّ الرجـالِ! يعـرف قلبي

أن حـمل الفـراقِ عبءٌ ثقـيـلُ

وليـاليـه مـوحـشـاتٌ.. شُكولُ

وأمـاسـيـه.. رنةٌ.. وعـويلُ

* * *

وتراءيتَ لي.. ووجـهك حبٌّ

وحنينٌ.. ولهـفـةٌ. وذهولُ

وتأمّلتَني.. وقُلتَ: تجلَّدْ!
لا أطيقُ الدموعَ حين تسيلُ
هذه سنّةُ الحياة.. غروبٌ
وشروقٌ.. ومنزلٌ.. ورحيلُ
وكبيرٌ يمضي.. ويأتي صغيرٌ
وفصولٌ وراءهنَّ فصولُ
أعقلُ الناس من يعيشُ.. ويدري
أن هذي الحياة طيفٌ يزولُ
كفكف الدمع، يا صديقيَ، وانهضْ
واحضن اليوم فَهْوَ حالٌ تحولُ

* * *

يا أعزَّ الرجالِ! أمرٌ مُطَاعٌ
نضبَ الدمعُ.. وارتوى المنديلُ

* * *

أدخلُ الآنَ باسماً عالم الذكرى

وأمشي فيهِ.. وأنتَ الدليلُ

ها هنا واحة الصداقة... عشبٌ

وغديرٌ.. ونسمةٌ.. ونخيلُ

وهنا قاعة الدراسة.. فِكرٌ

وعقولٌ تعبُ منها عقولُ

وهنا خيمة القصيد... أعدُ لي

"مالنا كلُّنا جوٍ يا رسولُ؟"

وهنا غرفة الضجيج.. هُراءٌ

وأقاصيصُ جُلُّها منحولُ

وهنا مـــدخَل الـوزارةِ.. شـــوطٌ

والقـرارات في السـبـاقِ الخـيـولُ

ها هنا أنتَ... فـــالزمـــانُ مليءٌ

وهنا أنتَ... فـــالمدى مـــأهولُ

* * *

كُنت حـشـداً من النفـوسِ غـريبـاً

مـا لنفسٍ بيـن النفـوسِ مـثـيلُ

تتلاقى فيك العواصفُ والصحوُ...

ويلقى الهـجـيـرَ ظلٌّ ظليـلُ

تتــلاقى فـيك البــراءةُ والمكرُ..

ويلقى الخـبـيـرَ طفلٌ جَـهـولُ

كلُّ شيء لكلِّ شيءٍ... عـــــدوٌّ

كلُّ شيء لكلِّ شيءٍ... زمـــــيلُ

عجباً منك! كيف تعتورُ الأضداد

روحـــــــاً.. ولا يضجُّ النزيلُ؟

في أساريرِكَ ابتســــامٌ مُـــريحٌ

وعلى ناظريكَ حُلــمٌ نبـــيــلُ

عـجـبـاً منك! قُـربُ كل مُـحبٍّ

لك نِـدٌّ مــــقــــارعٌ.. و عــذولُ

عـجـبـاً منك! كم تثـيـر حـروباً

ثم تمضي مـــوادعـــاً... وتقـــيلُ

كُنتَ تمشي مع الملوكِ... وحــــيناً
في جـموعِ المـمــشيــنَ.. تجـولُ
كُنتَ عنفـاً ورقَّــةً.. وخـصــامــاً
وســلامــاً.. كــأنك المستــحـيلُ!

* * *

شـــدَّ دُنيــاكَ للبــريقِ طُمـــوحٌ
أيُّ ســحـرٍ هذا الطمـوح القـتُـول!
أي سحرٍ.. يغوى.. ويغري.. ويغوي
عـطشٌ لا يُـبلّ مـنـه غـلـيـــــلُ
قـد خـبـرتَ الحـيـاةَ.. وهي جِـبـالٌ
وألفتَ الحـيــــاةَ.. وهي ســـهـولُ

عُـدتَ من رحلة الطمـوح وفي
روحك من لفحـة الطمـوح ذبولُ
اطْـرحْ حُـلَّـة الـوزارة! والـبـسْ
فكرةً مـا لحسنهـا تبـديـلُ
أنت.. أنت الأستـاذُ يخلد فينا
حين يُنسى المبُجَّل.. المسؤولُ

* * *

أقبل الليل.. ذاك ركنك.. إجلسْ
نتسامرْ!.. ليلُ الشتاء طويلُ
"كيف كان اللقاء بالموت؟ قل لي!
أكما يحتوي الخليل.. خليلُ؟

أمـلـيـحٌ هـذا الـردى... أم فـظـيـعٌ؟

ومـريـرٌ.. أم طعـمـه مـعـسـولُ؟

أتـلـقّـاك واجـمـاً؟.. أم تـلـقّـاك

وضحُ الـتـرحـيـبُ.. والـتـأهيلُ؟"

قُلت لي باسـمـاً.. لديَ جـوابٌ

والتـفـاصـيل، يا صديقي، فـضـولُ

"إلـفُ هـذا الـهـواء أوقـعَ في

الأنفس أنّ الحِـمـام"[1] شـر وبيلٌ

دع حـديث الردى.. فـإنـي مَلـولُ

وأعطني غـيـره.. فـإنّي عـجـولُ!"

---

(١) - من بيت المتنبي الشهير:

"إلْفُ هذا الهواء أوقعَ في الأنـ ـفسِ أنّ الحِمام مُرّ المذاق"



يا أعزَّ الرجالِ! انتصَفَ الليلُ..

كلانا في صبحِهِ مشغولُ

نمْ قريراً.. لديكَ حُزني وضحكي

"فعلى أي جانبَيْك تميلُ؟"(١)

٢٠٠٤م

(١) الشطر للمتنبي.